تفسير سورةُ الشعراء
من آية (210) إلى آية (227)
اللقاء الثاني عشر
والأخير

المعنى الإجمالي من آية (192) إلى آية (209):

يبيّنُ الله تعالى مصدرَ القرآنِ، والنازلَ به، والنازلَ عليه، وحكمةَ الإنزالِ، واللغةَ التي نزَل بها، فيقولُ: وإنَّ القرآنَ وحْيٌ مُنزَّلٌ مِن اللهِ ربِّ العالَمينَ، نزَل به على قَلبِك -يا مُحمَّدُ- جِبريلُ الأمينُ على الوَحيِ؛ لِتُنذِرَ به النَّاسَ، بلُغةٍ عربيَّةٍ واضحةِ البيانِ.

ثمَّ يبيّنُ سبحانَه ما يدُلُّ على صِدقِ هذا القرآنِ ومَن جاء به، فيقولُ: وإنَّ هذا القُرآنَ لَمذكورٌ خَبَرُه في كتُبِ الأنبياءِ السَّابقينَ. أوَلَمْ يكُنْ لهؤلاء المشرِكين المكَذِّبينَ عَلامةً على صِحَّةِ ما جئْتَهم به -يا مُحمَّدُ- عِلمُ عُلَماءِ بني إسرائيلَ صِدْقَ ذلك، ووجودُه في كُتُبِهم؟!

ثمَّ يَذكُرُ اللهُ تعالى جحودَ الكافرينَ وعنادَهم، فيقولُ: ولو نزَّلْنا هذا القُرآنَ على رجُلٍ أعجميٍّ لا يَنطِقُ بالعربيَّةِ، فقرأه على مُشرِكي قَومِك بغيرِ لغةِ العربِ؛ لَما آمَنوا به، ولَقالوا: ما نَفْقَهُ قولَه! كذلك أدخَلْنا القُرآنَ في قُلوبِ المشرِكين، فكَذَّبوا به، ولا يؤمِنون به حتى يرَوُا العذابَ الأليمَ مِن الله، وهو آتِيهم فجأةً، فيقولونَ حينَ يَرَون العذابَ: هل نحن مؤخَّرون ومُمهَلونَ يا رَبَّنا؟!

أيَستعجِلُ هؤلاء المجرِمون بعذابِنا؟ أخبِرْني إنْ أمهَلْناهم يتمَتَّعون في الدُّنيا سِنينَ كثيرةً، ثمَّ جاءهم بعْدَ تمتُّعِهم تلك السِّنينَ عذابُ اللهِ الذي كانوا يُوعَدون به، فماذا ينفَعُهم تمتُّعُهم في الدُّنيا، وإمهالُنا لهم؟!

ثمَّ يُبيّنُ سبحانَه سُنَّتَه التي لا تتخلَّفُ، فيقولُ: وما أهلَكْنا قريةً مِن القُرى الظَّالِمةِ إلَّا بعْدَ إرسالِ رسُلِ الله المنذِرينَ لهم، بعَثْنا هؤلاء الرسُلَ تذكِرةً لأهل القرى، وما كُنَّا ظالِمين لهم بعْدَما أقَمْنا الحُجَّةَ عليهم.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿210﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا احتَجَّ تعالى على صدْقِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم بكونِ القرآنِ تنزيلَ ربِّ العالَمينَ، وإنَّما يُعرَفُ ذلك لوقوعِه مِن الفصاحةِ في النهايةِ القصوى، ولأنَّه مُشتَمِلٌ على قَصَصِ المتقدِّمِينَ مِن غيرِ تفاوتٍ، مع أنَّه عليه السَّلامُ لم يَشتغِلْ بالتعَلُّمِ والاستفادةِ، فكان الكفَّارُ يقولون:

لِمَ لا يجوزُ أنْ يكونَ هذا مِن إلقاءِ الجِنِّ والشياطينِ كسائرِ ما يَنزِلُ على الكَهَنةِ؟! فأجاب اللهُ تعالى عنه بأنَّ ذلك لا يَتسَهَّلُ للشياطينِ؛ لأنَّهم مَرجومون بالشُّهُبِ، معزولون عنِ استِماعِ كلامِ أهلِ السَّماءِ

(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) أي: وما نزَلَت الشَّياطينُ بالقُرآنِ على محمَّدٍ، بل نزَل به عليه جبريلُ الأمينُ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ [التكوير: 25].

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿211﴾

(وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) أي: ولا يَنبغي ولا يَصِحُّ للشَّياطينِ أن ينزِلوا بالقُرآنِ؛ لأنَّهم لا يُريدونَه؛ لِمُخالفتِه أحوالَهم ومقاصِدَهم، وحتى لو أرادوا إنزالَه فإنَّهم لا يستطيعونَ. موسوعة التفسير

قال ابنُ تيمية: (بيَّن قولُه: وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أنَّهم لا يريدونَ تنزيلَه، وبقولِه: وَمَا يَسْتَطِيعُونَ أنَّهم عاجِزونَ عن تنزيلِه).

وقال سُبحانَه: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ [الصافات: 6-10].

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ ﴿212﴾

(إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) أي: لأنَّهم محجوبون مِن سَماعِ القُرآنِ في السَّماءِ. موسوعة التفسير

وقال ابن عثيمين: دَليلٌ على أنَّ القرآنَ تَفِرُّ منه الشَّياطينُ، وأنَّه لا يمكِنُ أنْ تَقرَبَه، وقد أخبَرَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في بعضِ الآياتِ أنَّها تَطْرُدُ الشَّياطينَ، كما في (البَقَرةِ) وفي (آيةِ الكرسيِّ) وما أشبَهَ ذلك.

وقال ابن عثيمين: إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ كلَّما انقادَ للشَّيطانِ ابتعدَ عن فَهمِ القُرآنِ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ؛ لأنَّهم شياطينُ، فمَن كان شَيطانًا -والشَّيطانُ مِن بني آدمَ هو الذي يتلقَّى ما تأمُرُه الشَّياطينُ به- فإنَّه يُعزَلُ أيضًا عن فَهمِ القُرآنِ.

قال الواحدي: (حِيلَ بيْنَهم وبينَ السَّمعِ بالملائكةِ والشُّهُبِ، وهو قَولُه: إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ).

كما قال الله سبحانه وتعالى حاكيًا قَولَ الجِنِّ: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [الجن: 8، 9].

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿213﴾

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) أي: فلا تدْعُ مع اللهِ مَعبودًا آخَرَ تَعبُدُه وتسألُه، فتكونَ مُعَذَّبًا مِن المعَذَّبينَ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا [الإسراء: 39].

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿214﴾

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أي: وحذِّرْ قَومَك الأقربينَ إليك نَسَبًا مِن عذابِ اللهِ إنْ لم يؤمِنوا، وقدِّمْ إنذارَهم على إنذارِ غيرِهم، ولا تُحابِهم لِقُربِهم. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: فهو تَخصيصٌ بعدَ تَعميمٍ؛ للاهتمامِ بهذا الخاصِّ. ووجْهُ الاهتمامِ أنَّهم أَوْلَى النَّاسِ بقَبولِ نُصحِه، وتعزيزِ جانبِه، ولئلَّا يَسبِقَ إلى أذهانِهم أنَّ ما يُلْقِيه الرَّسولُ مِن الغِلظةِ في الإنذارِ وأهوالِ الوعيدِ لا يقَعُ عليهم؛ لأنَّهم قرابةُ هذا المنذِرِ وخاصَّتُه. وأنَّ فيه تَعريضًا بقلَّةِ رَعْيِ كثيرٍ منهم حقَّ القرابةِ؛ إذ آذاهُ كثيرٌ منهم وعصَوهُ، مثلُ أبي لَهَبٍ؛ فلا يَحْسَبوا أنَّهم ناجونَ في الحالتينِ، وأنْ يَعلَموا أنَّهم لا يُكتَفى مِن مُؤمنِهم بإيمانِه حتَّى يضُمَّ إليه العملَ الصَّالحَ، فهذا ممَّا يَدخلُ في النِّذارةِ.

وقال ابن عثيمين: (هذا في أوَّلِ الدَّعوةِ، أُمِرَ أن يُنذِرَ عَشيرتَه الأقربينَ؛ لأنَّهم أحقُّ النَّاسِ ببِرِّه، ولأنَّهم بمقتضى القَرابةِ -لا بمقتضى الواقعِ- أقرَبُ الناسِ إلى الإيمانِ به، ولأنَّهم أيضًا بمقتضى القرابةِ هم أشَدُّ النَّاسِ غَيرةً عليه، ولأنَّهم أيضًا بصِلةِ القرابةِ هم أعظَمُ النَّاسِ حَقًّا عليه).

وقال ابن عثيمين: دليلٌ على أنَّه يجبُ على الإنسانِ أنْ يُرشِدَ ويَعِظَ الأقربَ منه فالأقربَ، وهو مَسؤولٌ سؤالًا مُباشِرًا بالنِّسبةِ إلى أهلِه.

قال ابن كثير: (هذه النِّذارةُ الخاصَّةُ لا تنافي العامَّةَ، بل هي فردٌ مِن أجزائها، كما قال: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ [يس: 6]، وقال: لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا [الشورى: 7] ... وقال: لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [الأنعام: 19] ... وفي صحيحِ مُسلمٍ: «والذي نفْسي بيَدِه، لا يسمَعُ بي أحدٌ مِن هذه الأمَّةِ؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثمَّ لا يؤمنُ بي، إلَّا دخل النَّارَ»).

عن ابنِ عباسٍ رَضيَ الله عنهما، قال: ((لَمَّا نزلَتْ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعِدَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على الصَّفا فجعَل ينادي: يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ -لبُطونِ قُريشٍ- حتى اجتَمَعوا، فجعَل الرجُلُ إذا لم يستطِعْ أن يخرُجَ أرسَلَ رَسولًا؛ لِيَنظُرَ ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقُرَيشٌ، فقال: أرَأَيْتَكم لو أخبَرْتُكم أنَّ خَيلًا بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم، أكنتُم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعَمْ، ما جرَّبْنا عليك إلَّا صِدقًا، قال: فإنِّي نذيرٌ لكم بيْنَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: تبًّا لك سائرَ اليومِ، ألهذا جمَعْتَنا؟! فنَزَلَتْ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ [المسد: 1، 2])) رواه بخاري.

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ الله عنه، قال: ((لَمَّا أُنزِلَت هذه الآيةُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دعا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قُرَيشًا، فاجتَمَعوا فعَمَّ وخَصَّ، فقال: يا بَني كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بَني مُرَّةَ بنِ كَعبٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا بني عَبدِ شَمسٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا بني عبدِ مَنافٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني هاشِمٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ المطَّلِبِ، أنقِذوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا فاطمةُ، أنقِذي نفْسَكِ من النَّارِ؛ فإنِّي لا أملِكُ لكم مِنَ الله شيئًا، غيرَ أنَّ لكم رَحِمًا سأبُلُّها بِبَلالِها) أصِلُها بصلتِها، شُبِّهت قطيعةُ الرحمِ بالحرارةِ، ووصلُها بإطفاءِ الحرارةِ ببرودةٍ) رواه مسلم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿215﴾

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: وألِنْ جانِبَك لأتْباعِك المؤمِنينَ، وتواضَعْ لهم، وارفُقْ بهم، وتودَّدْ إليهم. موسوعة التفسير

وقال ابن عثيمين: هذه وظيفةُ المسلمِ مع إخوانِه؛ أنْ يكونَ هَيِّنًا لَيِّنًا بالقَولِ وبالفِعلِ؛ لأنَّ هذا ممَّا يُوجِبُ المَوَدَّةَ والأُلفةَ بينَ النَّاسِ، وهذه الأُلفةُ والمودَّةُ أمرٌ مطلوبٌ للشَّرعِ؛ ولهذا نَهَى النبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن كُلِّ ما يُوجِبُ العداوةَ والبَغضاءَ، مِثلُ البَيعِ على بَيعِ المسلِمِ، والسَّوْمِ على سَومِ المسلِمِ، وغيرِ ذلك ممَّا هو معروفٌ لكثيرٍ مِن النَّاسِ.

وقال ابن عثيمين: إرشادٌ إلى ألَّا تتعالى على المؤمنينَ، ولا ترتَفِعَ في الجوِّ، بل اخفِضِ الجَناحَ، حتى وإنْ كنتَ تستطيعُ أنْ تطيرَ في الجوِّ، فاخفِضْ جَناحَك لِمَن اتَّبعك مِن المؤمنينَ، وأمَّا مَن خالَفَك وعصاك فأقِمْ عليه العُقوبةَ اللائِقةَ به؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يَقُلْ: «اخفِضْ جناحَك لكلِّ أَحَدٍ»، بل قال: لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

❁دَليلٌ على أنَّ تحقيقَ الإيمانِ إنَّما يكونُ في اتِّباعِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم.

وقال السعدي: أنَّ هذه أخلاقُه صلَّى الله عليه وسلَّمَ، أكمَلُ الأخلاقِ التي يحصُلُ بها مِن المصالحِ العظيمةِ، ودفْعِ المضَارِّ ما هو مُشاهَدٌ، فهل يليقُ بمؤمنٍ باللهِ ورسولِه، ويدَّعي اتِّباعَه والاقتِداءَ به أنْ يكونَ كَلًّا على المسلمينَ، شَرِسَ الأخلاقِ، شديدَ الشَّكيمةِ عليهم، غليظَ القلبِ، فَظَّ القَولِ فظيعَه؟! وإنْ رأى منهم معصيةً أو سوءَ أدبٍ هَجَرَهم ومقَتَهم وأبغضَهم، لا لِينَ عندَه، ولا أدبَ لديه ولا توفيقَ! قد حَصَّلَ مِن هذه المعاملةِ مِن المفاسدِ وتعطيلِ المصالحِ ما حَصَّلَ، ومع ذلك تجدُه محتَقِرًا لِمَنِ اتَّصفَ بصفاتِ الرَّسولِ الكريمِ، وقد رماه بالنِّفاقِ والمداهَنةِ، وقد كمَّل نفْسَه ورَفَعَها، وأُعجِبَ بعمَلِه، فهل هذا إلَّا مِن جهْلِه وتزيينِ الشَّيطانِ وخَدْعِه له.

كما قال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [آل عمران: 159].

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿216﴾

(فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) أي: فإنْ خالَفَ أمرَك قَومُك الأقرَبون ولم يتَّبِعوك، فقُلْ لهم: إنِّي بَريءٌ ممَّا تَعمَلونَ مِن شِرْكِكم وعِصيانِكم. موسوعة التفسير

قال السعدي: (فَإِنْ عَصَوْكَ في أمرٍ مِن الأمورِ، فلا تتبرَّأْ منهم، ولا تترُكْ معاملتَهم بخَفضِ الجَناحِ، ولِينِ الجانبِ، بل تبرَّأْ مِن عملِهم، فعِظْهم عليه وانصحْهم، وابذُلْ قدرتَك في ردِّهم عنه، وتوبتِهم منه، وهذا لدفعِ احترازِ وهْمٍ مِن يتوهَّمُ أنَّ قولَه: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ للمؤمنينَ، يقتضي الرِّضاءَ بجميعِ ما يصدُرُ منهم، ما داموا مؤمنينَ، فدفَع هذا بهذا، والله أعلم).

وقال الشوكاني: (فَإِنْ عَصَوْكَ أي: خَالَفوا أمْرَكَ ولم يَتَّبِعوكَ... وهذا يدُلُّ على أنَّ المرادَ بالمؤمنينَ المشارفونَ للإيمانِ، المصدِّقونَ باللِّسانِ؛ لأنَّ المؤمنينَ الخلَّصَ لا يَعْصونَه ولا يُخالِفونَه).

كما قال تعالى: وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ [يونس: 41].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿217﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال ابن عاشور: لَمَّا كان التبَرُّؤُ يُؤذِنُ بحُدوثِ مجافاةٍ وعَداوةٍ بيْنَه وبيْنَهم؛ ثَبَّتَ اللهُ جأشَ رسولِه بأَلَّا يَعبَأَ بهم، وأنْ يتوكَّلَ على ربِّه فهو كافيه، فقال تعالى:

(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) أي: واعتَمِدْ في جميعِ أمورِك على اللهِ العزيزِ في نِقمتِه مِن أعدائِه، فلا يُقهَرُ ولا يُغالَبُ؛ الرَّحيمِ الذي يقبَلُ التَّوبةَ مِن عبادِه، ولا يَعجَلُ بالعُقوبةِ ولا يَخذُلُ أولياءَه، وفوِّضْ أمورَك إليه؛ لِيَحفَظَك ويَنصُرَك. موسوعة التفسير

قال السعدي: أعظَمُ مُساعدٍ للعبدِ على القيامِ بما أُمِرَ به: الاعتِمادُ على ربِّه، والاستِعانةُ بمولاهُ على توفيقِه للقيامِ بالمأمورِ؛ فلذلك أمَرَ اللهُ تعالى بالتوكُّلِ عليه.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿218﴾

(الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) أي: توكَّلْ على اللهِ الذي يراك حينَ تقومُ إلى صَلاتِك. موسوعة التفسير

وقال ابن كثير: (قال ابنُ عبَّاسٍ: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ يعني: إلى الصَّلاةِ. وقال عِكْرِمةُ: يرى قيامَه وركوعَه وسجودَه. وقال الحسَنُ: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ: إذا صلَّيتَ وحْدَك. وقال الضحَّاكُ: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ أي: مِن فراشِك أو مجلِسِك. وقال قَتادةُ: الَّذِي يَرَاكَ: قائِمًا وجالِسًا وعلى حالاتِك).

كما قال تعالى: وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ [الطور: 48].

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ﴿219﴾

(وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) أي: ويَراك وأنت معَ المصَلِّينَ تتقَلَّبُ في الصَّلاةِ قائِمًا وراكِعًا وساجِدًا. موسوعة التفسير

قال الواحدي: (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ أي: ويرى رُكوعَك وسُجودَك وقيامَك مع المصَلِّينَ في الجماعةِ. والمعنى: يراك إذا صَلَّيتَ وحْدَك، ويراك إذا صلَّيتَ في الجماعةِ راكعًا وساجِدًا وقائِمًا، هذا قَولُ أكثَرِ المفسِّرينَ).

كما قال تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ [يونس: 61].

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿220﴾

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: إنَّ اللهَ هو السَّميعُ لجَميعِ الأصواتِ، العليمُ بجميعِ الأعمالِ والأحوالِ والنيَّاتِ، ومِن ذلك سَماعُه لتلاوةِ محمَّدٍ، وذِكرِه في صلاتِه، العليمُ بما يعمَلُ فيها وبما في قَلبِه مِن الإيمانِ. موسوعة التفسير

قال البقاعي: (شمولُ العلمِ يستلزمُ تمامَ القدرةِ، فصار كأنَّه قال: إنَّه السميعُ العليمُ البصيرُ القديرُ؛ تثبيتًا للمتوكِّلِ عليه).

قال السعدي: فاستِحضارُ العبدِ رُؤيةَ اللهِ له في جَميعِ أحوالِه، وسَمْعَه لكُلِّ ما ينطِقُ به، وعِلمَه بما ينطوي عليه قَلبُه مِن الهَمِّ والعَزمِ والنيَّاتِ: ممَّا يُعينُه على مَنزلةِ الإحسانِ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿221﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه أنَّ القرآنَ مُنافٍ لأقوالِ الشياطينِ، وبَيَّنَ أنَّ حالَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وحالَ أتْباعِه مُنافيةٌ لأحوالِهم، وأحوالِ مَن يأتونَه مِن الكُهَّانِ بما ذَكَره سُبحانَه مِن فِعلِه صلَّى الله عليه وسلَّم وفِعلِ أشياعِه رضيَ اللهُ عنهم مِن الإقبالِ على اللهِ، والإعراضِ عمَّا سِواه، فعُلِمَ أنَّ بيْنَهم وبيْنَهم بَونًا بعيدًا، وفَرقًا كبيرًا شديدًا، وأنَّ حالَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم موافِقٌ لحالِ الرُّوحِ الأمينِ النازلِ عليه بالذِّكرِ الحكيمِ- تشوَّفتِ النَّفْسُ إلى معرفةِ أحوالِ إخوانِ الشَّياطينِ، فقال محرِّكًا لِمَن يريدُ ذلك، متمِّمًا لدفعِ اللَّبسِ عن كَونِ القرآنِ مِن عندِ اللهِ

(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) أي: هل أُخبِرُكم بصِفةِ الذينَ تتنزَّلُ عليهم الشَّياطينُ. موسوعة التفسير

وقال ابنُ كثير: (يقولُ تعالى مخاطِبًا لِمن زعَم مِن المشركين أنَّ ما جاء به الرسولُ ليس حقًّا، وأنَّه شيءٌ افتعله مِن تِلقاءِ نفْسِه، أو أنَّه أتاه به رَئِيٌّ مِن الجنِّ، فنزَّه اللهُ سبحانه جَنابَ رسولِه عن قولِهم وافترائِهم، ونبَّه أنَّ ما جاء به إنَّما هو الحقُّ مِن عندِ الله، وأنَّه تنزيلُه ووحْيُه، نزَل به ملَكٌ كريمٌ أمينٌ عظيمٌ، وأنَّه ليس مِن قَبيلِ الشياطينِ؛ فإنَّهم ليس لهم رغبةٌ في مثلِ هذا القرآنِ العظيمِ، وإنَّما يَنزلون على مَن يُشاكلُهم ويشابهُهم مِن الكهَّانِ الكذبةِ).

﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿222﴾

(تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) أي: تتنَزَّلُ بكَثرةٍ على كُلِّ كثيرِ الكَذِبِ في أقوالِه، كثيرِ الآثامِ في أفعالِه. موسوعة التفسير

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿223﴾

(يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) أي: يَستَرِقُ الشَّياطينُ بعضَ ما يَسمَعونَه مِن الملائكةِ في السَّماءِ، فيُلقونَه إلى أوليائِهم مِن الكَهَنةِ الأفَّاكين الآثِمينَ قبْلَ أن يُرجَمُوا بالشُّهُبِ، وأكثَرُهم كاذِبونَ فيما يُخبِرونَ به مِن الغُيوبِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ [الحجر: 18].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ الله عنه، قال: إنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إذا قضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت الملائِكةُ بأجنِحَتِها خُضْعانًا لِقَولِه، كأنَّه سِلسلةٌ على صَفوانٍ ، فإذا فُزِّعَ عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العَليُّ الكبيرُ، فيَسمَعُها مُستَرِقُ السَّمعِ، ومُستَرِقُ السَّمعِ هكذا بعضُه فوقَ بَعضٍ -ووصَفَ سُفْيانُ بكَفِّه فحَرَفَها وبَدَّد بيْنَ أصابِعِه- فيسمَعُ الكَلِمةَ فيُلْقيها إلى مَن تحتَه، ثمَّ يُلقيها الآخَرُ إلى مَن تحتَه، حتَّى يُلقيَها على لسانِ الساحِرِ أو الكاهِنِ، فرُبَّما أدرَكَ الشِّهابُ قبْلَ أن يُلقِيَها، ورُبَّما ألْقاها قبْلَ أن يُدرِكَه، فيَكذِبُ معها مِئةَ كَذْبةٍ، فيُقالُ: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟! فيُصَدَّقُ بتلك الكَلِمةِ التي سَمِعَ مِنَ السَّماءِ)) رواه البخاري.

وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: ((سَأل أُناسٌ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن الكُهَّانِ، فقال لهم رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ليسُوا بشَيءٍ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّهم يحَدِّثونَ أحيانًا بالشَّيءِ يكونُ حَقًّا! فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: تلك الكَلِمةُ مِنَ الحَقِّ يَخطَفُها الجِنِّيُّ، فيَقُرُّها في أذُنِ وليِّه قَرَّ الدَّجاجةِ، فيَخلِطون فيها أكثَرَ مِن مِئةِ كَذْبةٍ)) رواه البخاري.

وعن عائشةَ رَضيَ الله عنها، أنَّها سَمِعَت رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((إنَّ الملائِكةَ تَنزِلُ في العَنانِ -وهو السَّحابُ-، فتذكُرُ الأمرَ قُضِيَ في السَّماءِ، فتَستَرِقُ الشَّياطينُ السَّمعَ فتَسمَعُه، فتُوحيه إلى الكُهَّانِ، فيَكذِبون معها مِئةَ كَذبةٍ مِن عندِ أنفُسِهم)) رواه البخاري

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿224﴾

قال السعدي: لَمَّا نزَّه اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن نُزولِ الشَّياطينِ عليه؛ برَّأه أيضًا مِن الشِّعرِ، فقال

(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) أي: والشُّعَراءُ يتَّبِعُهم غُواةُ الإنسِ والجِنِّ، الضَّالُّونَ المتَّبِعون أهواءَهم وشَهَواتِهم، وليس القرآنُ شِعرًا، ولا محمَّدٌ بشاعرٍ. وأتباعُه هم المهتَدون. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (الغاوي: المتَّصِفُ بالغَيِّ والغَوايةِ، وهي الضَّلالةُ الشَّديدةُ، أي: يَتَّبِعُهم أهلُ الضَّلالةِ والبِطالةِ الرَّاغبون في الفِسقِ والأذى).

⇦ إلى آخرِ الآياتِ، فيه ذمُّ الشِّعرِ والمبالغةِ في المدحِ والهَجوِ وغَيرِهما مِن فُنونِه، وجوازُه في الزُّهدِ والأدَبِ ومَكارمِ الأخلاقِ، وجوازُ الهَجوِ لِمَن ظُلِمَ انتِصارًا.

وقال ابن عبد البر: (لا يُنكِرُ الشِّعرَ الحَسَنَ أحَدٌ مِن أُولي العِلمِ ولا مِن أُولي النُّهَى... وليس أحدٌ مِن كبارِ الصَّحابةِ وأهلِ العِلمِ ومَوضِعِ القُدوةِ إلَّا وقد قال الشِّعرَ وتمثَّلَ به، أو سَمِعَه فرَضِيَه، وذلك ما كان حِكمةً أو مُباحًا مِن القَولِ، ولم يكُنْ فيه فُحشٌ ولا خَنًا، ولا لِمُسلمٍ أذًى، فإنْ كان ذلك فهو والمنثورُ مِن الكلامِ سَواءٌ؛ لا يحِلُّ سَماعُه ولا قَولُه).

قال ابن تيمية: إنَّ ظاهِرَ القُرآنِ ليس فيه أنَّ الشُّعَراءَ تتنَزَّلُ عليهم الشَّياطينُ إلَّا إذا كان أحدُهم كذَّابًا أثيمًا؛ فالكذَّابُ في قَولِه وخَبرِه، والأثيمُ في فِعلِه وأمرِه؛ وذاك -واللهُ أعلمُ- لأنَّ الشِّعرَ يكونُ مِن الشَّيطانِ تارةً، ويكونُ مِن النَّفْسِ أُخرى، كما أنَّه إذا كان حَقًّا يكونُ مِن رُوحِ القُدُسِ، كما قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَمَّا دعا لحسَّان بنِ ثابتٍ: ((اللَّهُمَّ أيِّدْه برُوحِ القُدُسِ)).

كما قال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ [يس: 69].

وقال سُبحانَه: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الحاقة: 41 - 43].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضيَ اللهُ عنه، قال: بَيْنَا نحن نسيرُ مع رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالعَرْجِ إذْ عَرَضَ شاعِرٌ يُنشِدُ، فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((خُذوا الشَّيطانَ أو أمسِكوا الشَّيطانَ؛ لَأَنْ يَمتلئَ جَوفُ رجُلٍ قَيْحًا خيرٌ له مِن أن يمتلئَ شِعرًا)) رواه مسلم.

وهذا فِيمَن غَلَبه الشِّعرُ وكَثُر منه حتَّى شَغَله عن القُرآنِ وعن ذِكرِ الله، أو يكونُ المرادُ بالشِّعرِ ما تَضمَّن سبًّا وهِجاءً أو مُفاخَرةً، كما هو غالِبُ شِعرِ الجاهليِّين. الدرر السنية

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ﴿225﴾

(أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) أي: ألم تَرَ أنَّ الشُّعَراءَ يتكَلَّمونَ بالباطِلِ في كُلِّ لَغوٍ ووَجهٍ مِن أوجُهِ القَولِ؛ كالمدحِ والهِجاءِ، والرِّثاءِ والفَخرِ والغَزَلِ، يَمضُون فيه خائِضينَ حائرينَ، لا يَثبُتونَ على حالٍ. موسوعة التفسير

قال ابن جرير: (هذا مَثَلٌ ضَرَبه الله لهم في افتِنانِهم في الوجوهِ التي يفتنُّونَ فيها بغيرِ حَقٍّ، فيَمدَحون بالباطِلِ قَومًا، ويهجُون آخَرينَ كذلك بالكَذِبِ والزُّورِ).

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿226﴾

(وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) أي: وأنَّ الشُّعَراءَ يقولون الكَذِبَ، فيتكَلَّمونَ بما لا يَفعَلونَه في الواقِعِ. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (هذا وصْفُ الشعراءِ؛ أنَّهم تخالِفُ أقوالُهم أفعالَهم، فإذا سمِعتَ الشاعرَ يتغزَّلُ بالغزلِ الرقيقِ، قلتَ: هذا أشدُّ الناسِ غرامًا، وقلبُه فارغٌ مِن ذاك، وإذا سمِعتَه يمدحُ أو يذمُّ، قلتَ: هذا صدقٌ، وهو كذبٌ، وتارةً يتمدَّحُ بأفعالٍ لم يَفعلْها، وتُروكٍ لم يَترُكْها، وكرَمٍ لم يحُمْ حولَ ساحتِه، وشجاعةٍ يعلو بها على الفُرسانِ، وتراه أجبَنَ مِن كلِّ جبانٍ، هذا وصْفُهم).

وقال ابنُ عاشور: (في هذا إبداءٌ للبَونِ الشاسعِ بيْنَ حالِ الشُّعراءِ، وحالِ النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي كان لا يقولُ إلَّا حقًّا، ولا يصانِعُ، ولا يأتي بما يُضَلِّلُ الأفهامَ).

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: 2، 3].

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ﴿227﴾

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أي: إلَّا الشُّعَراءَ المؤمِنينَ الذين عَمِلوا الأعمالَ الصَّالِحةَ، وذكَروا اللهَ ذِكرًا كَثيرًا. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (بهذا الاستثناءِ تعيَّن أنَّ المذمومينَ هم شُعَراءُ المشرِكينَ الذين شغَلَهم الشِّعرُ عن سَماعِ القرآنِ، والدُّخولِ في الإسلامِ)

وقال البِقاعي: (لم يَشغَلْهم الشِّعرُ عن الذِّكرِ، بل بَنَوا شِعرَهم على أمرِ الدِّينِ، والانتصارِ للشَّرعِ، فصار لذلك كله ذِكرًا للهِ).

الذين استثناهم سُبحانَه مِن عُمومِ الشُّعَراءِ المذمومينَ وَصَفهم بأمورٍ أربعةٍ:

أحدُها: الإيمانُ، وهو قولُه: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا.

وثانيها: العملُ الصالحُ، وهو قَولُه: وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

وثالثُها: أنْ يكونَ شِعْرُهم في التَّوحيدِ والنبوَّةِ ودَعوةِ الحقِّ، وهو قَولُه: وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا.

ورابعُها: ألَّا يَذْكروا هَجْوَ أحدٍ إلَّا على سبيلِ الانتصارِ ممَّن يَهجوهم، وهو قَولُه: وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا، قال اللهُ تعالى: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ [النساء: 148]، ثم إنَّ الشَّرطَ فيه ترْكُ الاعتداءِ؛ لِقَولِه تعالى: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ [البقرة: 194].

وقال ابن عاشور: (معنى: وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أي: كان إقبالُهم على القُرآنِ والعبادةِ أكثَرَ مِن إقبالِهم على الشِّعرِ).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أصْدَقُ كَلِمةٍ قالها شاعِرٌ كَلِمةُ لَبِيدٍ: ألَا كُلُّ شَيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ. وكاد أُمَيَّةُ ابنُ أبي الصَّلْتِ أن يُسلِمَ)) رواه مسلم

وعن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ رَضيَ الله عنه، قال: ((خرَجْنا مع رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى خَيْبَرَ، فسِرْنا ليلًا، فقال رجُلٌ مِن القَومِ لعامِرِ بنِ الأكوَعِ: ألَا تُسمِعُنا مِن هُنَيْهاتِك (أراجيزك، والأُرْجوزةُ: القصيدةُ مِن الرَّجَزِ)؟ قال: وكان عامِرٌ رجُلًا شاعِرًا، فنزل يَحْدو بالقَومِ يقولُ:

اللَّهمَّ لولا أنت ما اهتَدَيْنا

ولا تصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

فاغفِرْ فِداءً لك ما اقتَفَيْنا

وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنا

وألْقِيَنْ سَكينةً علينا

إنَّا إذا صِيحَ بنا أتَيْنا

وبالصِّياحِ عَوَّلوا علينا

فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: مَن هذا السائِقُ؟! قالوا: عامِرُ بنُ الأكوَعِ، فقال: يَرحَمُه اللهُ)) رواه البخاري.

وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ مِن الشِّعرِ حِكمةً)) رواه البخاري.

(وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) أي: وهَجَوا شُعَراءَ المشرِكينَ الذين هَجَوْهم ظُلمًا، فرَدُّوا عليهم بالحَقِّ؛ انتِصارًا للمُسلمينَ، فهؤلاء المستَثنَونَ ليسوا مِن الشُّعَراءِ المذمومينَ. موسوعة التفسير

قال القصاب: دَليلٌ على أنَّ الباديَ بالهِجاءِ ظالِمٌ، والمجيبَ مُنتصِرٌ، وأنَّ الانتصارَ يكونُ باللِّسانِ كما يكونُ باليَدِ.

قال البقاعي: كان السَّلَفُ الصَّالحُ يتواعَظونَ بهذه الآيةِ؛ لأنَّك لا تجِدُ أهيَبَ منها، ولا أهوَلَ ولا أوجَعَ لقُلوبِ المتأمِّلينَ، ولا أصدَعَ لأكبادِ المتدَبِّرينَ

قال الشوكاني: (يدخُلُ في هذا مَن انتصَر بشِعرِه لأهلِ السُّنَّةِ، وكافَحَ أهلَ البدعةِ، وزيَّفَ ما يقولُه شُعراؤُهم؛ مِن مدحِ بدعتِهم، وهَجوِ السُّنَّةِ المطَهَّرةِ، كما يقعُ ذلك كثيرًا مِن شُعَراءِ الرافضةِ ونحوِهم؛ فإنَّ الانتصارَ للحَقِّ بالشِّعرِ، وتزييفَ الباطِلِ به: مِن أعظَمِ المجاهدةِ، وفاعِلُه مِن المجاهدينَ في سبيلِ الله، المنتصرينَ لدِينِه، القائمينَ بما أمَرَ الله بالقيامِ به).

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ الله عنه: ((أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دخَل مكَّةَ في عُمرةِ القَضاءِ، وعبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ بيْنَ يديه يمشي، وهو يقولُ:

خَلُّوا بَني الكُفَّارِ عن سَبيلِهْ

اليَومَ نَضرِبُكم على تَنزيلِهْ

ضَربًا يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِهْ

ويُذهِلُ الخليلَ عن خَليلِهْ

فقال له عُمَرُ: يا ابنَ رَواحةَ، بيْنَ يَدَيْ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وفي حَرَمِ الله تقولُ الشِّعرَ؟! فقال له النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: خَلِّ عنه يا عُمَرُ؛ فلَهِيَ أسرَعُ فيهم مِن نَضْحِ النَّبْلِ) صحيح سنن الترمذي.

قالت عائشةُ: فسَمِعْتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ لحسَّان: إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يؤيِّدُك ما نافَحْتَ عن اللهِ ورَسولِه! وقالت: سَمِعتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: هَجاهم حسَّان فشَفَى واشتَفَى!)).

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ سبحانه في هذه السورةِ ما يُزيلَ الحزنَ عن قلْبِ رسولِه صلَّى الله عليه وسلَّم مِن الدلائلِ العقليَّةِ، ومِن أخبارِ الأنبياءِ المتقدمينَ، ثمَّ ذَكَرَ الدلائلَ على نبوَّتِه صلَّى الله عليه وسلَّم، وردَّ على المشركينَ في تسميتِهم له تارةً بالكاهنِ، وتارةً بالشاعرِ! وبَيَّنَ الفَرْقَ بيْنَه وبينَ الكاهنِ أوَّلًا، ثمَّ بَيَّنَ الفرقَ بينَه وبينَ الشاعرِ ثانيًا؛ خَتَمَ السورةَ بهذا التهديدِ العظيمِ، يعني: أنَّ الذين ظلَموا أنفُسَهم، وأعرَضوا عن تدبُّرِ هذه الآياتِ؛ والتأمُّلِ في هذه البيِّناتِ فإنَّهم سيَعلَمون بعْدَ ذلك أيَّ مُنقلَبٍ يَنقلِبونَ

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) أي: وسيَعلَمُ الذين ظَلَموا أنفُسَهم بالشِّركِ والمعاصي، والاعتِداءِ على حُقوقِ العبادِ؛ المآلَ السَّيِّئَ الذي سيَصيرون إليه بعْدَ مَوتِهم؛ فإنَّ مصيرَهم إلى النَّارِ. موسوعة التفسير

وقال السعدي –رحمه الله–: "الظلم ثلاثة أنواع: نوع لا يغفره الله، وهو الشرك بالله: (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) [النساء: 48]، ونوع لا يَترُكُ الله منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، فمن كمال عدله: أن يقتصَّ الخلق بعضهم من بعض بقدر مظالمهم، ونوع تحت مشيئة الله إن شاء عاقب عليه، وإن شاء عفا عن أهله، وهو الذنوب التي بين العباد وبين ربهم فيما دون الشرك" [بهجة قلوب الأبرار، ص: (53)].

أيها الظالم، لا تغترَّ بحِلم الله عليك، وإمهالِه لك، فربُّك يُمهل ولا يُهمل تيقَّن بأن ربك لبالمرصاد، وأن ظُلمك مُستنَسخٌ في كتاب، لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى.

قال رسولُ الله: "إنَّ الله يملي للظالم فإذا أخذَه لم يفلته"، ثم قرأ قوله– تبارك وتعالى –: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [هود: 102]، ومعنى "يملي للظالم" أي: يمهله ولا يعاجِله بالعقوبة، ومعنى "إذا أخذه لم يفلِته" أي: إذا أهلَكَه لا يرفَع عنه الهلاكَ أبدًا.

ليتذكر كل ظالم الموتَ وسَكرَته، والقبر وظلمته، والميزان ودقَّتَه، والصراط وزلَّته، والحساب وسرعته، والحشر وأحواله، والنشور وأهواله.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات